د. صالح علي الزين

مفهوم الوظيفة لدى «رادكلف براون ومالينوسكي» وأهمية هذا المفهوم في ميدان الأنثروبولوجيا «علم الانسان»

عندما نتحدث أو نتكلم عن النظرية الوظيفية أو التحليل الوظيفي فإنه تجدر الاشارة إلى أن قصب السبق نحو التوجه الوظيفي في علم الاجتماع، قد يُوضح بقول فَصِل من فولتير «Voltaire»، يشير فيه إلى أنه في حالة عدم وجود إله «God»، فإنه يبدو أمراً ضرورياً للانسان اختراع إله «God»، وهذا يعني أن «فولتير» ينظر إلى عملية الاعتقاد في الاله «Belief in god»، على أنها وظيفة أساسية وحيوية لا غنى للانسان أو الكائن البشري عنها.

إن الدفع الحقيقي نحو استخدام مصطلح الوظيفة قد جاء مبلوراً بشكل أكثر تحديداً مع أواخر القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر، وعلى يد عدد من علماء الاجتماع أمثال: منتسكيو Montesquieu (1689-1755)، وسانت سيمون Saint-Simon (1760-1825)، وأجست كونت Auguste Conte (1798-1857)، لقد كان الطابع المسيطر على تفكير هؤلاء العلماء أنهم ينظرون إلى المجتمع على أنه نسق طبيعي، كما أنهم ينظرون إلى العلاقات الاجتماعية في المجتمع على انها مماثلة للعلاقات العضوية في الفسيولوجيا، وأن كل شيء يوجد في المجتمع يرتبط بكل شيء آخر ارتباطاً وظيفياً.

أن الفضل الأكبر في توجيه انتباه علماء الأنثروبولوجيا والاجتماع إلى التحليل الوظيفي، وبدقة متناهية يرجع إلى كل من هربرت سبنسر Herbert Spencer (1820-1903)، وإميل دوركايم Emile Durkheim (1858-1917)، فحسب وجهات نظر هربرت سبنسر أن تطور المجتمع الانساني هو استمرار

طبيعي وضروري للتطور العضوي في الكائنات الحية.

وبوضوح فإن «هربرت سبنسر» يعتبر المجتمع الانساني وكأنه كائن حي «As organism»، ويمضي «سبنسر» قائلا بأن الجماعات البشرية تميل إلى أو نحو الزيادة في الحجم ومن ثم في التنظيم، ومن ثم أيضا في التكامل «Integration»، وعلى أية حال، فإنه عندما يصبح التباين البنائي عظيماً وكبيراً، فإن التوافق أو التبادل أو الاتكال «Interdependence» لأجزاء النظام العضوي الاجتماعي «Social organism» سوف تزداد أيضاً.

ان الشيء الذي يجب ان نضعه في اعتبارنا هنا أنه على الرغم من المماثلة الواضحة والصريحة التي يراها سبنسر بين المجتمع البشري «Human sociely»، والجسم الحي أو الكائن الحي «Organism»، إلا أنه لاحظ أن كلا منهما يستمد كيانه وتماسكه ووحدته من عوامل خاصة ومتميزة، فالعوامل التي تؤدي إلى وحدة الجسم الحي هي عوامل مادية محسوسة، وبعبارة اخرى هي نفس أجزاء وعناصر ذلك الكائن ذاته، وهذا على عكس ما يحدث بالنسبة للمجتمع الذي يستمد وحدته وتماسكه من عوامل وعناصر غير مادية وغير محسوسة، فهي عوامل خارجة عن التركيب العضوي مثل العادات والتقاليد والأعراف واللغة والقيم والأفكار والمعتقدات والشعائر .. إلخ، وهذه العوامل التي تشكل الجانب اللامادي من الثقافة أو الحضارة الانسانية هي ما أسماه «هربرت سبنسر» ما فوق العضوي «Supersrganic».[1]

وبالرغم من أن استخدام «هربرت سبنسر» للتماثل أو التشابه البيولوجي العضوي «Biological analogy»، يبدو أنه خطيراً إلى حد كبير، إلا أنه مع ذلك قد لعب دوراً قصيراً في استخدام مفاهيم البناء «Structure»، والوظيفة «Function»، في ميدان الأنثروبولوجيا أو علم الانسان الاجتماعي، لأن هربرت سبنسر كان دائماً يؤكد أنه في أية مرحلة من التطور الاجتماعي

---

(1) Goldthrope, J., "Herbert Spencer", *The Founding Fathers of Social Sciences*, 1969, (ed. Timothy Raison), pp. 78-81.

«Social evolution»، فإنه توجد عملية اتكال متبادل أو توافق وظيفي ضروري بين المؤسسات الاجتماعية في المجتمع.

أما إميل دوركايم «Emile Durkheim»، فهو بدوره يناقش موضوع الوظيفة ويشير إلى أن أي تحليل اجتماعي ينبغي أن يركز على شيئين هامين ألا وهما:

أ ـ البحث في أسباب أو مسببات الظاهرة «Phenomenor's causes».

ب ـ البحث في وظيفتها «Its function».

ودوركايم يفضل استخدام مفهوم الوظيفة «Function»، بدلا من استعمال أو استخدام مفهوم الغاية «End»، أو الغرض «Purpose»، وذلك لأن الظواهر من وجهة نظر دوركايم هي بشكل عام لا توجد لأنها بالضرورة ذات نتائج مفيدة «Useful resulls they produce»، فواجب الباحث أن يقرر عما إذا كان هناك ترابط بين الحقيقة المدروسة والاحتياجات العامة للكائن العضوي الاجتماعي، بدلا من أن يشغل نفسه بالبحث فيما إذا كانت الظاهرة أو الظواهر قد وجدت بشكل متعمد أو عمدي أم لا.[1]

ومن وجهة نظر دوركايم فإن الحقائق الاجتماعية «Social facts»، لا يمكن تفسيرها في إطار أو حدود علم النفس الفردي، ذلك لأن هذه الحقائق توجد خارج عقول الأفراد ومستقلة عنها، فاللغة على سبيل المثال، موجودة قبل أن يولد الفرد في المجتمع الذي يتكلم بها، وستظل موجودة بعد أن يموت ذلك الفرد، فهو فقط يتعلمها كما فعل أجداده من قبله، وكما ستتعلمها كل الأجيال اللاحقة أو القادمة، فهذه حقيقة اجتماعية، وهي قائمة بذاتها ولا يمكن فهمها إلا في علاقتها بالحقائق الاخرى التي هي من نفس النوع، أي كجزء من نسق اجتماعي «As part of social system»، وفي اطار وظائفها في المحافظة على ذلك النسق التي هي جزء منه.[2]

---

(1) Durkheim, E., *The Rules of Sociological Method* (English translation) Glencoe (Illinois), 1950.

(2) Evans-Pritchard, E., *Social Anthropology*, 8th ed., 1972, p. 52

والزعيمان الفعليان للتحليل الوظيفي في ميدان الأنثروبولوجيا الاجتماعية في بريطانيا هما مالينوسكي Malinswski (1884-1944)، ورادكلف براون Radcliffe Brown (1881-1955)، والغالبية العظمى من علماء الأنثروبولوجيا الاجتماعية يتفقون على أن الاستاذ «مالينوسكي» والاستاذ «رادكلف براون» هما فعلا المسؤولين الرئيسيين عن وضع علم الانثروبولوجيا الاجتماعية أو (علم الانسان الاجتماعي)، كعلم يدرس في الجامعات، على خارطة العالم «On the world map» ، وعلى أية حال، فإن كلا من مالينوسكي ورادكلف براون كانا متأثرين بمؤسس الحولية الاجتماعية «L'année socialogique school»، الفرنسية بزعامة اميل دوركايم، وأن كلا من مالينوسكي ورادكلف براون ادعوا أو قالوا بأن هدفهم الأساسي هو تزويد الدارسين بمفتاح لفهم المجتمعات والثقافات البشرية ككل موحد «A key to the understanding of societies and cultures as a whole»، وأيضاً مفتاح لفهم مؤسسات اجتماعية خاصة.

الاستاذ مالينوسكي يؤكد أو يصر على أن المجتمع الانساني والثقافة البشرية من الممكن فهمها بصورة أفضل وأعمق على اعتبار أنها مجموعة وسائل أو جمل «Assemflage of contrivances» لاشباع حاجيات بيولوجية ونفسية أو سيكولوجية للكائنات العضوية أو الكائنات الحية التي تصنع أو تكون المجتمع البشري، ولكن السؤال الذي يفرض نفسه بهذا الصدد هو: هل يكفي تحليل المؤسسات الاجتماعية فقط في اطار مثل هذه الحاجات «In terms of such needs»؟، الجواب يبدو أنه ذو طبيعة سلبية حقاً.

ومن ثم، فإنه إذا أردنا معرفة لماذا توجد على نطاق واسع مؤسسة تعرف باسم المهر «Marriage-payment or fride wealth» في كثير من المجتمعات الانسانية، فإنه يجب البحث عن شرح أو تفسير لوجود هذه المؤسسة في أطر غير الاطار البيولوجي الذي يشير إليه كل من هربرت سبنسر، ودوركايم، ومالينوسكي، وهذا يعني أنه يجب علينا الارتقاء إلى مستوى التجديد «Abstraction level» لنرى كيف أن وجود هذه المؤسسة يرتبط بوجود مؤسسات اخرى تتعايش أو تتزامن

معها، وبهذه الطريقة نستطيع أن نرى كيف أنه يمكن ان تكون وسيلة لتحقيق شرعية مكانة أو وضعية الاطفال، أو على أنها وسيلة للحفاظ على بعض الروابط أو العلاقات الاجتماعية بين مجموعات من الناس، وعلى أية حال، فإن إسهامات الاستاذ مالينوسكي العلمية بالنسبة لميدان الأنثروبولوجيا الاجتماعية الحديثة كان ملحوظاً وكبيراً بالفعل، ولكن مع ذلك كله فإن نهجه النظري «Theoretical approach» لم يعد له ذلك الوزن الكبير أو المعتبر في الوقت الحاضر.

ومن ناحية اخرى فإن الاستاذ راكلف براون يعتقد أن: «مفهوم الوظيفة المستخدم أو المطبق في المجتمعات الانسانية إنما هو مؤسس على التماثل أو التشابه بين الحياة الاجتماعية والحياة العضوية[1]»، ويبدو واضحا أن رادكلف براون يحذو حذو إميل دوركايم وعرَّف وظيفة المؤسسات الاجتماعية على أنها تطابق أو توافق بين المؤسسة الاجتماعية والظروف أو الشروط الضرورية «Necessary canditions» لوجود الكائن العضوي الاجتماعي، والاستاذ رادكلف براون استبدل مصطلح دوركايم الموسوم الحاجات «Needs» بالمصطلح، الظروف أو الشروط الضرورية للوجود «Necessary conditions of existence»، وتبريره لمسألة الاستبدال في المصطلحات المستخدمة انه أراد (أن يتحاشى الغموض الممكن أو المحتمل الوقوع، وعلى وجه الخصوص احتمالية أو إمكانية التفسير الغائي «Teleological interpretation»).[2]

في الحياة الاجتماعية «فإن وظيفة النشاطات المتجددة أو المتكررة مثل معاقبة الجريمة أو طقوس الدفن أو مراسيم الزواج، وظيفتها هو الدور الذي تلعبه في الحياة الاجتماعية ككل، ومن ثم الاسهام الذي تقوم به في حفظ استمرارية البناء ذاته[3]»، وعلى ما يبدو هنا فإن رادكلف براون يرى أن دور الوظيفة هو المحافظة

(1) Radcliffe-Brown, A., *Structure and Function in Primitive Society*, London, 1952, p. 178.
(2) Ibid., p. 178.
(3) Ibid., p. 180.

على المجتمع كما هو في الحاضر «As it exists at present» بدلا من توجيه تحليله إلى دراسة التغير الذي يحدث في المجتمع والذي هو سنة سائر البشر، فمصطلح الوظيفة «Function» كما استخدم هنا من قبل رادكلف براون يعني «أن الوظيفة هي الاسهام الذي يقوم به نشاط جزئي في النشاط العام الذي هو جزء منه، فوظيفة أي عرف اجتماعي معين هو الاسهام الذي يقدمه للحياة الاجتماعية ككل والتي هي وظيفة للنظام الاجتماعي الكلي». [1]

ومن هذه الناحية، فإن المؤسسات الاجتماعية ينظر على أنها وظائف بناء في بناء اجتماعي يتكون من أفراد يرتبطون مع بعضهم البعض «بمجموعة من العلاقات الاجتماعية المحددة في كل واحد متكامل متماسك [2]»، ومن ثم، فإن استمرارية البناء الاجتماعي يحافظ عليها عن طريق عمليات الحياة الاجتماعية، وبعبارة اخرى، فإن الحياة الاجتماعية لجماعة ما تعتبر على أنها وظيفة بنائها الاجتماعي، أي انها هي التي تخلق ذلك البناء وتحافظ على وجوده وكيانه.

ويمضي الاستاذ رادكلف براون في شرحه لمفهوم الوظيفة حيث يبين أن وظيفة أية ثقافة بوجه عام هي تعضيد «Sustain» وتوحيد الكائنات البشرية الفردية (أي كأفراد) في بناء اجتماعي مستقر أو ثابت، وهذا يعني أن الثقافة يجب أن تزود أعضاء أي مجتمع من المجتمعات الانسانية بوسائل يستطيعون أو يتمكنون بواسطتها أو عن طريقها من تكييف أنفسهم لبيئتهم الجغرافية التي يستمدون منها قوام معاشهم.

يشير رادكلف براون إلى أن مفهوم الوظيفة كما حدده هو يشكل فرضية ذات طبيعة عملية «A working hypothesis» والتي عن طريقها أو بواسطتها يمكن دراسة وفحص عدد كبير من المشاكل، وعلى حد تعبير رادكلف براون نفسه: «إن مفهوم الوظيفة كما حدد سلفاً يشكل فرضية عملية، يمكن للباحث عن طريقها أن يصيغ عدد من المشاكل لغرض البحث والدراسة والتحليل، وأي بحث علمي لا

(1) Ibid., p. 181.
(2) Ibid., p. 180.

يكون ممكنا بدون وجود أو توفر مثل هذه الفرضية العملية أي الوظيفة».[1]

وعندما يستخدم مفهوم الوظيفة كفرضية عملية، فإنه يجب أن يوضع في الاعتبار أن رادكلف براون قد أشار بوضوح تام إلى أن فرضيته «لا تتطلب التأكيد الدوقماطيقي (Dogmatic assertion) القائل بأن كل شيء في الحياة، في كل جماعة أو مجتمع بشري له وظيفة، ولكنها فقط تتطلب الافتراض بأنه ربما يكون لها وظيفة، ومن ثم فإنه يكون لنا مبرر للبحث عنها واكتشافها[2]»، والنقطة الثانية الهامة التي يجب وضعها نُصب أعيننا هي أن نفس العرف الذي يوجد في مجتمعين يمكن أن يكون له وظائف مختلفة في كلا المجتمعين.

هذا النمط من التحليل الوظيفي كما حدده الاستاذ رادكلف براون، وكما يستخدم اليوم من قبل الأنثروبولوجيين قد أعطى دفعاً قوياً أو مساعدة فعالة وهامة في تحديد وتعيين مشكلات البحث الميداني «Field rescarch»، ووجهة النظر هذه يمكن رؤيتها أو إدراكها بسهولة ووضوح إذا تذكرنا أن كُتّاب القرن التاسع عشر، كانوا بشكل عام يتعاملون أو يهتمون في دراساتهم بالمواضيع الجزئية الصغيرة التي تتألف منها الثقافة البشرية كالعادات، والتقاليد، والأعراف .. إلخ، والتي كانت تجمع معاً لمعرفة أو بغية إظهار أوجه التشابه أو التباين في المعتقدات والممارسات الشعائرية، ولكن عندما برز إلى حيز الوجود النهج الوظيفي التكاملي، فقد أدركوا ـ أي أدرك العلماء ـ حقيقة أن العرف أو العادة بشكل عام تفقد معناها عندما يُجرَّد أو يُنتزع من السياق الاجتماعي الذي يوجد فيه، ومن ثم، اصبح ضرورياً القيام بدراسات شاملة مفصلة لمجتمعات ما قبل التعليم أو ما قبل التصنيع، تشمل جميع جوانب الحياة الاجتماعية، إن مثل هذه الدراسات يجب أن يقوم بها انثروبولوجيين اجتماعيين مؤهلين، لأنهم وحدهم الذين يستطيعون القيام بمثل هذه الدراسات، نظراً لأنهم أكثر من غيرهم إلماماً بمشكلات العلم النظرية، وأقدر على معرفة المعلومات والبيانات الضرورية لحل تلك المشكلات، وبأنهم أكثر من غيرهم قدرة

---

(1) Ibid., p. 184.
(2) Ibid., p. 184.

على معرفة الكيفية للحصول على المعلومات اللازمة، وباختصار فإنه يمكن القول بأن إصرار النهج الوظيفي على اظهار الترابط بين الأشياء جميعاً، كان مسؤولا مسؤولية مباشرة عن قيام وتطور الدراسات الميدانية أو «الحقلية» الحديثة.

وبالرغم من أن التحليل الوظيفي قد لعب دوراً كبيراً ومفيداً في تقدم الفهم الانساني حول معرفة طبيعة الحياة الاجتماعية، إلا أنه توجد بعض التحفظات والانتقادات حول هذا النهج التحليل، وهذه النقاط يمكن تلخيصها على الوجه التالي:

أولا: إن التفسير أو التحليل الوظيفي هو أشبه ما يكون بما يفعله علماء البيولوجيا عندما يفسرون أي جزء من الكائن الحي أو العضوي بالرجوع إلى الحياة ككل، فاستعمال أو استخدام المماثلة أو المشابهة بين الحياة الاجتماعية والحياة العضوية هو شيء خطير ومضلل «Dargerous and misleading»، والاستاذ جون بيتي «John Beattie» يستعرض وجهة النظر هذه بشيء من الدقة حيث يقول: «يجب أن نكون حذرين حيال هذه المشابهة المنهجية التي تماثل بين الحياة الاجتماعية والحياة العضوية، وأن لا ندعها تقودنا إلى الافتراض بأن المجتمعات البشرية هي شيء شبيه بالكائنات العضوية، فالحقيقة أن المجتمعات ليست كذلك، وافتراضنا بأنها كذلك ربما يقود إلى أخطاء جسيمة».[1]

ومن ثم فإن يجب أن نضع في اعتبارنا أن الكائن العضوي هو وجود مادي أو فيزيائي يمكن وضعه على منضدة ومن ثم القيام بعملية تشريحه «And could he dissected»، وفحصه بدقه وبشكل موضوعي، ومن جهة اخرى، فإن المجتمع البشري أو المؤسسة الاجتماعية هي شيء آخر، فهي عبارة عن مفهوم أو فكرة «Concept»، يمكن تجديده من خلال ملاحظة سلوك الناس، ومن ثم فإنه يكون له وجود فقط في إذهان الناس المهتمين به.

ثانيا: الأنثروبولوجيون الوظيفيون مخطؤون نتيجة أو بسبب افتراضهم ان الأنظمة

(1) Beattie, J., *Other Cultures*, 6th ed., London, 1977, p. 56.

الاجتماعية أو الأنساق الاجتماعية هي أنساق طبيعية يمكن ردها إلى قوانين اجتماعية، وانه ليس من الضروري معرفة تاريخ هذه الأنظمة أو الأنساق حتى يمكن دراستها دراسة علمية صحيحة، وبهذا الصدد فإن الاستاذ رادكلف براون يجادل بقوله «أن التعميمات حول أي موضوع تنقسم إلى نوعين: تعميمات معتمدة على رأي أو اعتقاد عام، وتعميمات قد تم التحقق أو التأكد من صحتها عن طريق فحص أو استجواب منظم قائم على ملاحظات دقيقة تمت بشكل مرتب أو منظم، والتعميمات من النوع الاخر تدعي قوانين علمية»، ويمضي رادكلف براون في نقاشه حيث يقول «أن أولئك الذين يتشبثون أو يعتقدون بعدم وجود قوانين للمجتمع الانساني لا يستطيعون انكار وجود تعميمات حول المجتمع الانساني لأنهم هم انفسهم يقبلون تلك التعميمات[1]»، وعلى أية حال، فإنه لم يظهر حتى الان شيء يشبه ولو من بعيد قوانين العلوم الطبيعية، وكل ما أمكن الوصول إليه هو بعض الاحكام العملية.

ثالثا: المماثلة بين الحياة الاجتماعية والحياة العضوية أدت إلى خطأ آخر، التماثل يتضمن ليس فقط أن المجتمعات البشرية هي أنظمة تخضع أو تعتمد على الدراسات التجريبية، ولكنها تتضمن كذلك أن هذه المجتمعات متكاملة ومتجانسة، وهذه المجتمعات من ثم اعتقد أنها في حالة ثبوت أو توازن، على أية حال فإن المسألة ليست كذلك على الاطلاق، حيث أن الصراع يحدث بين الفينة والاخرى، وبهذا الصدد فإن روبرت مرتون R. Merton يشير إلى أن أي نمط اجتماعي معين من الممكن أن يكون ذو طبيعة وظيفية أو ذو اختلال وظيفي «Dys Functional»، وبهذه الطريقة فإن مرتون يعتقد أنه استطاع أن يدمج مسألة التغير في النظرية الوظيفية طالما أنه أدخل مصطلح «الاختلال الوظيفي» في تحليله لهذه النظرية، وحسب تفسير مرتون فإنه يعتبر النظرية الوظيفية على أنها ليست ذات صبغة محافظة «Conser vative»[2]، على أية حال فإن مرتون قد أخطأ نتيجة

(1) Radcliffe-Brown, A., *op. cit.*, p. 187.

(2) Merton, R.K., *Social Theory and Social Structure*, Glencoe (Illinois), 1949.

افتراضه أن النظرية الوظيفية ليست فلسفة محافظة، وذلك لأن هذه النظرية تتصور بأن المجتمع البشري في حالة توازن أو ثبات ولا يتغير إلا بوجود عناصر الاختلال الوظيفي، وهذه الحالة هي حالة «تغيير» وليس «تغيُّر»، والتساؤل الذي يطرح نفسه هنا هو لماذا لا ينظر إلى المجتمع الانساني على أنه في حالة تغيُّر دائم طالما أن التغير الاجتماعي ـ الذي هو سنة كافة المجتمعات البشرية ـ هي عملية مستمدة وإن اختلفت في الدرجة، ومن ثم، فالتغيرات الجذرية التي تحدث في المؤسسات الاجتماعية يجب بحثها ودراستها تاريخياً ووظيفياً.

رابعا: الأنثروبولوجيون الوظيفيون يدعون بأن مبدأ القناعة أو الرضا «Cansent» هو العنصر الأساسي الأساسي السائد بين الحكام ورعاياهم في المجتمعات الخالية من عملية العنف، هذا الافتراض أو المفهوم كان نتيجة لنشر كتاب بعنوان **الأنظمة السياسية الأفريقية** عام 1940 م، وهذا الكتاب أوضح بكل تأكيد أن «البناء الاجتماعي للدول الأفريقية يتضمن بأن الملوك والرؤساء يحكمون وفقاً لمبدأ القناعة والرضا[1]»، ولكن مفهوم القناعة والرضا ليس دائماً العنصر الأساسي في الأنظمة السياسية القائمة على انتفاء العنف «Voilence»، فدراسة الاستاذ طلال أسد «Talal Asad» لمجتمع الكبابيش «Kababish» عام 1970 م، يمكن أن تؤخذ كمثل جيد لتأكيد هذه الحقيقة، فطلال أسد يشير إلى أنه بالرغم من أن حكم أو سيطرة أولاد فضل الله ليس مؤسساً على ممارسة القوة والعنف «Based on the exercise of physicol foren»، فإن النظام السياسي في مجتمع الكبابيش لا يقوم على مفهوم الرضا أو القناعة كما يدعي أصحاب النظرية الوظيفية، وحسب تعبير طلال أسد نفسه «وبالرغم من أن الفرد في مجتمع الكبابيش قد يدرك أن حكامهم يقومون بخدمات أو واجبات ادارية على درجة كبيرة من الأهمية، فإن هذا الاعتراف ليس هو مصدر سلطة «Duthority»

(1) Fortes, M., and Evans-Pritchard, E., (editors), *African Political Systems*, Oxford, 1940, p. 12.

الحكام على رعيتهم، حيث أن مبدأ الرضا غير متضمن في هذه السلطة[1]»، إن مبدأ القناعة والرضا يتضمن أن الناس المعنيين بالأمر يجب أن يكون لهم الحق والقوة في المشاركة بصورة مباشرة أو غير مباشرة في عملية اتخاذ القرارات «Decision-making» أو صنع القرارات التي تخصهم، وهذه الحقيقة ليس لها وجود على الاطلاق في مجتمع الكبابيش.

خامسا: الأنثروبولوجيون الوظيفيون مخطئون أيضا في اعتقادهم أن تاريخ الأنظمة الاجتماعية ليس له أي تطابق علمي في فهم حقيقة المؤسسات الاجتماعية، في الحقيقة أن معرفة التاريخ الموثق توثيقاً جيداً «Wellk-documented history» لأي مجتمع إنساني يعطي فهماً أعمق لطبيعة الحياة الاجتماعية، الأستاذ إيفانز بريتشاد يؤكد وجهة النظر هذه حيث يقول «إن معرفة ماض المجتمع يعطي فهماً عميقاً ومستفيضاً لطبيعة الحياة الاجتماعية في الوقت الراهن أو الحاضر، لأن التاريخ ليس مجرد تعاقب للتغيرات، ولكنه كما يقول الاخرون إنه نمو «Growht» أو تطور الماضي متضمن في الحاضر كما أن الحاضر محتوي في المستقبل».[2]

الاستاذ كروبر «Kroeber» في مجلة American anthrop (1935)، يشير بوضوح إلى أنه يعضد ويثني على وجهات نظر إيفانز بريتشاد بخصوص العلاقة القوية بين التاريخ والأنثروبولوجيا الاجتماعية، وهذا يعني أنه يتفق مع إيفانز بريتشاد على اعتبار أن للأنثروبولوجيا الاجتماعية أقرب إلى بعض فروع الدراسات التاريخية ـ مثل التاريخ الاجتماعي ـ منها إلى أي من العلوم الطبيعية، وكلا العالمين يتفقان في أن الاختلافات بين الأنثروبولوجيا والتاريخ إنما هي اختلافات تتعلق بوسائل البحث وبالنقاط التي ينبغي ابرازها وتوضيحها والتأكيد عليها، وليست بشكل عام اختلافات في الهدف أو المنهج، وبهذا الصدد فقد كتب الاستاذ كروبر يقول: «انني أجد نفسي على اتفاق تام مع الاستاذ إيفانز بريتشاد في كل الجدل الذي

---

(1) Asad, T., *The Kababish Arabs*, London, 1970, p. 245.
(2) Evans-Pritchard, E.E., *op. cit.* pp. 59-60.

أثاره بخصوص علاقة الأنثروبولوجيا بالتاريخ، فمعرفة المجتمع والثقافة سوف تكون دوما بشكل أعمق وأكثر عمقا إذا كان ماضيها معروفا أو أمكن معرفته بدلا من أن يبقى مجهولا أو كمّاً مهملا». (1)

وعلى أية حال، فمعظم الأنثروبولوجيين المحدثين يأخذون في حسبانهم تاريخ المجتمعات التي يقومون بدراستها، وخصوصاً عندما تكون تلك المادة التاريخية متوفرة ومطابقة لفهم الوقت الحاضر وبعبارة اخرى، فإن الأنثروبولوجيين يستخدمون التاريخ في دراساتهم، إذا كان التاريخ قائماً على توثيق جيد، أو عندما يكون لدى المجتمعات تاريخ موثوق به، ودراسة أبنر كوهين «Abner cohen» لمهاجري الهوسا في مدن اليوروبا (1969) هي أحد الأمثلة على الاستفادة الجيدة من التاريخ، ودراسة الاستاذ كونسون «Cunnison» لمجتمع لوابولا «Luapula» في شمال زمبابوي (رودسيا سابقا) (1951) هي مثل آخر على مدى الاستفادة من التاريخ في دراسة وفهم الوقائع والمؤسسات الاجتماعية في الحالة الحاضرة، (وهناك دراسات اخرى مشابهة).

وباختصار يمكن القول، النهج أو التحليل الوظيفي قد لعب دوراً هاماً في تقدم الفهم الانساني حول طبيعة ووظيفة الحياة الاجتماعية، بيد أن هذا النهج في التحليل العلمي قد أخطأ في افتراض أو في الاعتقاد بأن المجتمعات هي تماما مثل الكائنات العضوية، كما أن الوظيفيون قد وقعوا في خطأ آخر بسبب افتراضهم أن الهدف الأساسي للأنثروبولوجيا هو صياغة قوانين اجتماعية تشبه القوانين في العلوم الطبيعية، في الحقيقة، أن المجتمعات الانسانية تختلف جذريا عن العلوم الطبيعية «Natural sciences»، حيث أن أعضاء أو أفراد المجتمعات الانسانية متأثرين بمفاهيم مشتركة «Influenced by shared concepts»، ومعتقدات، وقيم، وفهم هذه الأشياء يتطلب بطبيعة الحال وجود مناهج تختلف كلية عن الطرق أو المناهج المستعملة من قبل العلماء الطبيعيين.

---

(1) Kroeber, A.L., "Social Anthropology: past and present", *Man*, vol. 51, 1951, 18.